التسامح في الاسلام

تقديم الشيخ
ابوعمر احمد بن محمد

المبحث الأول

السماحة والتسامح في اليهودية

==============

قد يستغرب الناس حينما يقرءون أن هناك في التعاليم اليهودية ما يحض على السماحة والتسامح .

وهم معذورون في ذلك فما يقوله الواقع الفعلي يبتعد كثيراً عما تقوله النصوص التي يفترض أنها – مقدسة .. بل الأغرب من ذلك أن يتواصى في مجتمع كامل على إخفاء معالم هدية ومظاهر دنيه وراء ستائر من التعاليم البشرية التي لا تقارن – ولا توضع في أي موضع مقارنة مع هدى السماء .

قال ﷺ : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى " وأن أكثر الأنبياء بعثاً كانوا إلى بنى إسرائيل ..

وهل يتواصى جميع الأنبياء والرسل بتنفيذ رغبات اليهود وإعطائهم ما يزيد من نصوص تتيح لهم السيطرة والتفرد .. إذا لأصبح العالم فوضى .. لا مكان فيه لهدى السماء بجانب هدى البشر .. . لكن الشيء المؤكد الذي لا خلاف عليه أن هناك نصوصاً من التوراة النصوص المقدسة تحض على السماحة والتسامح مع الآخرين .

ذلك أن الأديان كلها من منبع واحد .. وكلها تتفق على أهمية السماحة وسيادة الرحمة ومبدأ التسامح في التعامل مع الآخرين .. وما سمعنا أبداً عن دين يحض تباعد على استخدام العنف ولا حتى الانزواء بعيداً عن الناس .. وهذا هو الأمر المؤكد .

وهناك الكثير من النصوص التي تحض على السماحة وإحسان معاملة الغير نذكر هنا بعضاً منها ...

فمثلاً : الوصايا العشر .. لموسى عليه السلام .

" ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً .. أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة غيرى (آلهة أخرى أمامي) لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء وما تحت الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأننى أنا الرب إلهك إله غيور . أفتقد ذنوب الأباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع إحساناً إلى ألوف محبتى وحافظى وصاياى ..

* " لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً أذكر يوم السبت لتقدسه – ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع ففيه سبت إلهك .. "

*" أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك "

* " لا تقتل ... لا تزن ... لا تسرق ... لا تشهد على قريبك شهادة زور .. "

* " لا تشبه بيت قريبك "

* " لا تشبه امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثورة ولا حمارة ولا شيئاً مما لقريبك "

(وقد ورد في بعض النسخ بدلاً من " قريبك " جارك[1]))

وإذا كانت هذه الوصايا تعطينا صو رة صادقة لما يجب أن يكون عليه المجتمع اليهودي الذي يؤمن وربه وبين العبد وأخيه على الأرض .. وأول شرائط السماحة هو حسن التعامل مع الغير

وجاء أيضاً في سفر أشعياء ..

" أعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكى تعرف أنى أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل أنا الرب وليس آخر .. لا إله سواى نطّقتك وأنت لم تعرفنى .. "

" لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها ان ليس غيرى .

" أنا الرب وليس آخر . مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام [2].. "

وجاء في سفر ميخا : -

" قد اخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب .. "

" ألا أن تصنع الحق وتحت الرحمة وتسلك متواضعاً مع أهلك [3] .. "

أنها سماحة الأديان جميعاً .. صناعة السلام . وإذا كان الله هو صانع السلام فإنه يطلب من الإنسان أن يكون سيرة وفق وصايا الله إليه ووفق مطالبة منه .

وفى النص الثانى ما يطلبه الله من عبادة الإنسان ماذا يطلب منه غير أن يكون له قلب يشعر وعقل يفهم .. محبة الرحمة وصناعة الحق والتواضع . والتسامح مع الغير وهل هناك تواضع بدون سماحة .

ونحتم هذه النصوص بنص من مزامير داود عليه السلام فقد جاء فيها : -

---

[1] جاء هذا النص بتمامه فى سفر الخروج ٢ – ١ – ١٧ وجاءت نفس الوصايا بنصها فى الإصحاح الخامس من سفر

[2] سفر اشعياء الاصحاح ٤٥ : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧

[3] سفر ميخا ٦ : ٨

" باركى يا نفسى الرب .. وكل ما في باطنى ، ليبارك اسمه القدوس ، باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته الذي يغفر جميع ذنوبك . الذي يشفى كل أمراضك الذي يغذى من الحفرة عمرك الذي يكلك بالرحمة والرأفة الذي يشبع بالخير عمرك . فيتجدد مثل النسر شبابك الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين عرف موسى طرقه .. وبنى إسرائيل أفعاله ، الرب في السموات ثبت كرسيه ، ومملكته على الكل تسود [٤] .. وإذا كان الأنبياء جميعاً يسيرون على طريق العدل والرحمة والتراحم .. وليس أنبياء بنى إسرائيل بدعاً من جميع الأنبياء لقد ساروا على الطريق .. طريق السماحة والتواضع في التعامل مع الآخرين ..

بقى أن نقول إن الدعوة إلى الأديان لا تكون أبداً بالعنف بل بالرحمة والسماحة والتسامح .

<u>اليهودية والتسامح: -</u>

إن أصول الدين واحدة ... تتفق كلها فيما تدعو إليه من إقامة علاقات حسنة مع الجميع .. وعلى الرغم مما نشاهده الآن من الممارسات اليهودية المتشددة إلا أن أصل الدين يدعو إلا خلاف ذلك تماماً ..

وإذا كنا نقول أن الإسلام يدعو إلى التسامح .. فكذلك تدعو اليهودية والمسيحية إليه .. ذلك أن دين الله واحد في الأولين والآخرين لا يختلف إلا في صورة ومظاهره وأما روحه وحقيقته وهو ما طولب به العاملون أجمعون على ألسن جميع الأنبياء والمرسلين فلا يتغير .. وهو إيمان بالله الواحد الأحد وإخلاص له في العبادة وأن يتعاون الناس في معاشهم على البر والتقوى .. والمودة والإخاء . وقد جاءت الكثير من الإشارات حول التسامح وأهميته لكنها نتف صغيرة بجانب الكثير مما تطفح به الكتب اليهودية من قتل لهذه الروح ..

فقد جاء في سفر أشعياء (الإصحاح ٤٥ .. الآيات ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧) ما يلى : -

" لكى تعرف أنى أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل . أنا الرب وليس أخر لا إله سواى نطقتك وأنت لم تعرفنى ، لكى يعلموا من مشرف الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى ، أنا الرب وليس أخر مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام [٢] وهل يكون

---

[٤] هذه النصوص وغيرها تراجع إلى – محمود أبو ريه – دين الله واحد – مكتبه الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩٤ صـــ ٤١ ، صـــ ٤٥

(٢) محمود أبو ريه .. دين الله واحد .. مكتبة الأسرة ١٩٩٤م ص٤٤

تسامح بين البشر إلا ويعقبه السلام ؟ وهل يكون سلام بدون تسامح ؟
وجاء في ميخا ٦ : ٨
" قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبة منك الرب إلهك .. إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك .

وحب الرحمة هنا لا يأتي إلا بالتسامح مع المخالفين ومع الذين نتعامل معهم في الحياة اليومية المستمرة .والشيء الذي لا خلاف عليه أن هناك الكثير من الإشارات حول التسامح وأهميته في الديانة المسيحية واليهودية – وإذا كان الحديث هنا عن اليهودية فقط – فإنه أمر مستغرب خاصة في الظروف الراهنة .. لكنه الدين الذي جاء من الله سبحانه والذى لا يختلف في أصوله عن جميع الأديان السماوية المنزلة من الله سبحانه وتعالى ..

فالأخلاق في أصولها لا تختلف بين الأديان السماوية بعضها وبعض فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والإحسان والتسامح والمحبة والعفاف والشجاعة والسخاء والتعاون على الخير (٣).

(٣) د / يوسف القرضاوى – دراسة بعنوان تطبيق الشريعة وحقوق الأقليات منشورة بمجلة الدوحة القطرية العددين ١٩ ، ٢٠ نوفمبر ديسمبر ١٩٨٥م ص١٧

المبحث الثانى

السماحة والتسامح في المسيحية

====================

إذا كانت النصوص التي تدعو إلى السماحة في اليهودية بسيطة وقليلة ... فإننا نجد العكس في النصوص المقدسة في الديانة المسيحية . فإنها بتعاليمها ونصوصها دعوة كاملة للمحبة ... وسيادة روح السماح والتسامح ..

لقد جاء عيسى -ﷺ- على طريق (خوانة من الرسل . وجاء بشريعة تتفق مع شريعة موسى -ﷺ- ولا تقضها - لأن الأصل واحد - كما سبقت الإشارة - وفى الأناجيل المتفق عليها الكثير والكثير من نصوص السماحة والتسامح ..

ففي إنجيل مرقص .. نسمع إلى هذا الحوار بين عيسى عليه السلام واحد اليهود ..

" فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون .فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله :-

أية وصية هي أول الكل ..؟

فأجابه به يسوع : إن أول كل الوصايا هي : أسمع يا إسرائيل . الرب رب واحد ونحب الرب ألهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى

وثانية مثلها هي :- تحب قريبك كنفسك ..

ليس وصية اعظم من هاتين ..

فقال له الكاتب .. حسن يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة . ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح .. القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل قال له .. لست بعيداً عن ملكوت الله ..؟فالمسيحية دين المحبة .. لأن الله محبة . والطريق إلى معرفة الله وعبادته والثبات فيه هو طريق المحبة . ولا يستطيع الإنسان أن يجب الله إلا إذا أحب أخاه في الإنسانية أولاً .. إذا لا تكتمل ديانة المسيحي بغير المحبة لأن هي تكميل الناموس "

والمسيحية بذلك تضع مسئولية كبرى على عاتق المنتمين إليها لأن المحبة التي هي جماع الفضائل كلها – يجب أن تشتمل الناس كافة حتى الأشرار والأعداء ..

كما أن محبة الناس كافة لا تكون " بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق "

وإذا كان ارتكاز المسيحية على المحبة . فإن أهم ثمار هذه المحبة هي التسامح والسماحة والسعى الفاضل في الحياه . حتى لطلب أن يكون السماحة أمراً طبيعياً في الحياه حتى ليطلب أن تكون السماحة أمراً طبيعياً في تركيب الإنسان ومن خلال التعاملات المختلفة .

ولدينا في هذا المقام موعظة من أجمل مواعظ المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام .. نقتطف منها هذه الدعوة إلى السماحة والتسامح مع الجميع ..

" سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن . أما أنا فأقول لكم :

لا تقاوموا الشر بالشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضاً .

ومن أراد أن يخاصمك وأخذ ثوبك فاترك له رذائل أيضاً .

ومن سخر ميلاً واحد فاذهب معه أثنين ، ومن أرد أن يقترض منك فلا ترده .

أقول لكم : - .... أحبو أعدائكم وأحسنوا إلى مبغضكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون . إليكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والصالحين والظالمين لأنكم إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ؟

أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك .. ؟

فكونوا انتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل ..

لا تدينوا لكى لا تدانوا .. وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك . وأما الخشية التي في عينك فلا تفطن لها .. " كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم .. افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم .. لأن هذا هو الناموس . فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم " وهكذا ...تضع المسيحية أسس التعامل السليم مع الآخرين إلا وهو أساس المحبة والسماحة ولعل هذا هو الأسر وراء انتشار المسيحية السريع في أول الأمر . فلما تغيرت الأمور وانقلبت الآية بدأ التراجع .[1]

<u>المسيحية والتسامح : -</u>

جاء عيسى عليه السلام يمشى على طريق إخوانه من الرسل الكرام يدعو

---

(١) ينظر فى ذلك إلى : أ – د / إدوار غالى الذهبى – النموذج المصرى للوحدة الوطنية – مكتبة الأسرة القاهرة ١٩٩٨م ص ٣٩ ، ص ٥٦ . ب – الشيخ / محمد الغزالى – التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ذار النشر والتوزيع الإسلامية – القاهر ط الثانية ١٩٩٣م ص ٥٧ وما بعدها .

الناس إلى عبادة الله وحده وليكمل ما نقص من الديانة التي جاءت قبله على لسان موسى عليه السلام – كما هي سنة الرسل أجمعين ، اللاحق يكمل شريعة السابق .. وإن الفهم الصحيح لأى ديانة ينبغى أن يكون من داخلها وبمنطقها وما أفهمه من الديانة المسيحية هو أن أساسها الذي تبنى عليه جميع مبادئها وتعاليمها يتركز في عبارة " الله محبة " [٤] ولذلك جاء في الكتاب المقدس " ومن لا يحب لا يعرف الله لأن الله محبه " ....(يوحنا ٤ : ١٦)

وهذه المحبة تنسحب على جميع البشر .

فالل ه محبة والإنسان خلق على صورة الله ومثالة إذن ينبغى أن يكون الإنسان أيضاً محبة ولذلك – ففى العقيدة المسيحية لا يمكن للإنسان أن يعرف الله وبالتالى لا يمكنه عبادته – إلا إذا أحب الله وأحب أخاه في الإنسانية الذي هو مخلوق على صورته الله ومثاله .. والمحبة في الديانة المسيحية هي جماع الفضائل كلها .. فعندما سئل السيد المسيح عن أية وصية هي العظمى في الناموس قال " تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك .. هذه هي الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك (أي أخاك في الإنسانية) كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس والأنبياء "................... (متى ٢ ، ٣٥ : ٤٠)

فتعاليم المسيحية كلها تؤكد أن المحبة يجب أن تشمل الناس كافة حتى الأشرار والأعداء .. فقد قال السيد المسيح في عظته على الجبل " أحبو أعداءكم باركو لأعينكم .. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .. لكى تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين .. لأنه إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك وإن سلمتم على أخوتكم فقط فأى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا . "

(إنجيل متى ٥ : ٤٤ – ٤٧)

وقال أيضاً : " كما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلوا أنتم أيضاً بهم وهكذا .. "

(إنجيل لوقا ٦ : ٣١)

---

(٤) د / وليم سليمان قلادة – المسيحية والإسلام على أرض مصر كتاب الحرية (التاسع) ط الأولى فبراير ١٩٨٦ القاهرة ص ٢٦

ويعتبر التسامح أهم ثمار المحبة .. ولهذا جاءت الوصية من السيد المسيح عليه السلام :

" .. لا تقاوموا الشر .. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضاً .. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضاً .. ومن سخرك ميلاً واحداً فأذهب معه أثنين .. ومن سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده " (متى ٥ : ٣٩ – ٤٢)

ويلاحظ أن السيد المسيح لم يكن يقصد المعنى الحرفى لهذه الأمثلة التي ضربها وإنما كان يقصد التسامح والصفح والدليل على ذلك أن المسيح نفسه قد تعرض لحادث لطمه على حده أثناء محاكمته أمام رئيس كهنة اليهود إذا جاء – بإنجيل يوحنا " لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة . أجابه يسوع .. إن كنت قد تكلمت روياً فاشهد على الردى وإن حسناً فلماذا تضربني " وواضح أن السيد المسيح لم يحول للخادم خده الآخر وإنما قال له لماذا تضربني [1] وفى النصوص المسيحي الكثير من الوصايا بالتسامح نذكر هنا أمثلة منها فقط ..

فقد جاء في انجيل متى ..

" وأضاف السيد المسيح قوله للجموع .. " فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .. "

(إنجيل متى ٦ : ١٤ – ١٥)

.. " وتقدم القديس بطرس إلى السيد المسيح وسأله قائلاً " كم مرة يخطئ إليّ أخى وأنا أغفر له .. هل إلى سبع مرات .. قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات ..." (متى ١٨ : ٢١ - ٢٢)

---

[1] د / أدوار غالى الذهبى – النموذج المصرى للوحدة الوطنية – مكتبة الأسرة ١٩٩٨ القاهرة ص ٥٢

وجاء بالكتاب المقدس : -

" من لا يحب أخاه يبق في الموت كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية .. " (يوحنا ٣ : ١٤ - ١٥)

وواضح مما سبق أن المسيحية تضع مسئولية كبرى على كاهل المنتمين إليها . فلا يعد الشخص مسيحياً حقاً إلا إذا امتلأ قلبه بمحبة الله ومحبة الله ومحبة جميع الناس حتى الأشرار والأعداء [٢]

ونلخص مما سبق إلى أن المسيحية هي دين المحبة والمحبة هي طريق التسامح لأن الله محبة والطريق إلى الله ومعرفته وعبادته والثبات فيه هو طريق المحبة .. ولا يستطيع الإنسان أن يحب الله إلا إذا أحب أخاه في الإنسانية أولاً إذا لا تكتمل ديانة المسيحى بغير المحبة لأن المحبة هي تكميل الناموس .

والمسيحية تضع مسئولية كبرى على عاتق المنتمين إليها .. لأن محبة الناس كافة لا تكون بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق .. "

(٢) د / أدوار الذهبى – النموذج المصرى – مرجع سابق ص ٥٢

المبحث الثالث

((السماحة والتسامح في الإسلام))

جاء الإسلام ليخاطب الإدراك البشرى والتسامح بكل قواه وطاقاته يخاطب العقل والفكر والبداهة الناطقة ويخاطب الوجدان والفطرة السليمة والكيان البشرى ..

جاء الإسلام يخاطب العقل بدون إكراه ولا تعقيد فجعل قضية اقتناع بعد البيان .. " أي قضية العقيدة " وليست قضية إجبار وغضب وإكراه .. فلا مجال لاعتناق هذا الدين الكريم تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع .

التفسير :

"لا إكراه في الدين" على الدخول فيه

"قد تبين الرشد من الغي" أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام

"فمن يكفر بالطاغوت" الشيطان أو الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع

"ويؤمن بالله فقد استمسك" تمسك

"بالعروة الوثقى" بالعقد المحكم

"لا انفصام" انقطاع

"لها والله سميع" لما يقال

"عليم" بما يفعل

وهذا المبدأ يترجم تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكرة ومشاعره وترك أمره لنفسه ..

ولقد رسم الإسلام الطريقة المثلى للانتشار السلمى والدعوة إليه والتى تتمثل في كسب الثقة وإزالة الحواجز بين المسلمين وغيرهم حتى يتعرفوا على هذا الدين من قريب ويلمسوا معاملة المسلمين لغيرهم بلا تكلف أو بهرجة .

وقد تكون ذلك أقرب السبل وأقصرها وأيسرها إلى الهداية ..

وهناك من النصوص القرآنية الكثير والكثير ولكننا سنتوقف هنا عند نص من هذه النصوص .

قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾

(الممتحنة ٠٠٨)

ترجمة المعاني:

Allâh does not forbid you to deal justly and kindly with those who fought not against you on account of religion and did not drive you out of your homes. Verily, Allâh loves those who deal with equity.

والكلام الجامع في التفسير :-

"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم" من الكفار

"في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم" بدل اشتمال من الذين

"وتقسطوا" تقضوا

"إليهم" بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم

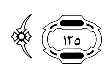
"إن الله يحب المقسطين" العادلين

فإن الله تعالى يعنى بذلك المخالفين لنا في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم أي أن الله عز وجل عم بذلك جميع من كان ذلك صنفته ولم يخص بعضنا دون بعض لأن بر المؤمن بمن بينه ودينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينة وبينه ولا نسب وغير محرم ولا منهى عنه إذا لم يكن دلالة لأهل الحرب على عورة الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح .

وبين صحة ذلك ما روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال نزلت في أسماء بنت أبى بكر رضي الله عنها وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها قتيلة بينت عبد العزى فأتتها بهدايا .

فقالت لا أقبل لك هدية ولا تدخلي على حتى يأذن رسول الله ﷺ . فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ . فأنزل الله (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) .. الآية [1]

وأمر الله رسوله ﷺ أن يقيم دعوته على قواعد الحكمة والموعظة الحسنة وألا يجادل إلا بالتى هي أحسن .. قال تعالى : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ



﴾

(النحل ١٢٥)

ترجمة المعاني:

Invite (mankind, O Muhammad (peace be upon him)) to the Way of your Lord (i.e. Islâm) with wisdom (i.e. with the Divine Revelation and the Qur'ân) and fair preaching, and argue with them in a way that is better. Truly, your Lord knows best who has gone astray from His Path, and He is the Best Aware of those who are guided.

---

(١) الامام محمد بن جرير الطبرى .. جامع البيان فى تفسير القرآن . جـ ٢٨ صـ ٤٣ ط- المطبعة الأميرية – بولاق القاهرة .. ط الأول . ١٣٢٨ هـ

تفسير الجلالين:

"ادع" الناس يا محمد

"إلى سبيل ربك" دينه

"بالحكمة" بالقرآن

"والموعظة الحسنة" مواعظه أو القول الرقيق

"وجادلهم بالتي" أي بالمجادلة التي

"هي أحسن" كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه

"إن ربك هو أعلم" أي عالم

"بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" فيجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه: لأمثلن بسبعين منهم مكانك:

وقد أمره الله تبارك وتعالى بذلك في نشر دعوته لكى يدع للناس الحرية التامة أن يأخذوا بدعوته أو يدعوها فلا إكراه على اعتناق الدين . وما في القلوب لا تغيره أبداً كل وسائل الإكراه فلا يبنى الإيمان إلا على الاطمئنان ..

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(يونس ١٠٨)

شرح غريب الألفاظ:

﴿ بِوَكِيلٍ ﴾

أي :ما أنا بموكلٍ بإيمانكم أو حفيظ عليكم من العذاب

ترجمة المعاني:

Say: "O you mankind! Now truth (i.e. the Qur'ân and Prophet Muhammad (peace be upon him)) has come to you from your Lord. So whosoever receives guidance, he does so for the good of his own self, and whosoever goes astray, he does so to his own loss, and I am not (set) over you as a Wakîl (disposer of affairs to oblige you for guidance)."

تفسير الجلالين:

"قل يا أيها الناس" أي أهل مكة

"قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه" لأن ثواب اهتدائه له

"ومن ضل فإنما يضل عليها" لأن وبال ضلاله عليها

"وما أنا عليكم بوكيل" فأجبركم على الهدى

والنصوص في هذا الباب كثيرة وكلها تحض على السماحة – والتسامح في التعامل مع غير المسلمين .

ولقد حرص الرسول الكريم ﷺ على أن يكفل الأمن لأهل الكتاب داخل المجتمع الإسلامي . فمن ذلك قوله ﷺ " من آذى ذمياً فأنا خصمه ومنت كنت خصمته يوم القيامة " (٢)

وقال ﷺ " من قتل معاهداً – من له عهد مع المسلمين – لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً " (٣)

---

(٢) الحديث : أخرجه البخارى فى صحيحة

(٣) أخرجة النسائى فى سنة (بشرح الحافظ السيوطى)

وقال ﷺ " سيكون قوم لهم عهد فمن قتل رجلاً منهم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة تسعين عاماً " [٤]

وقال ﷺ "من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وأن كان المقتول كافراً" [٥]

عنها قيد أنملة .. وغدا هذا الأمر في ضمير خلفاء الأمة وحكامها وشعوبها وحياتها ترجمة عملية وواقعاً حياً للحديث النبوى الشريف الذي يثق فيه النبى ﷺ العروة بين الإيمان الحق والعلاقات الإنسانية الصادقة حيث يقول ﷺ " لن تؤمنوا حتى تراحموا .

قال : يا رسول الله كلنا رحيم

قال : أنه ليس برحمة أحدكم بصاحبة .. ولكنها رحمة العامة " [٦]

مثل من نشر الدعوة إلى الإسلام .. وليس هنالك ما يدلل على صحة ما سبق أن قدمنا من هذا النص النبوى الجميل الذي يبرهن على أهمية الدعوة بالحكمة والحسنى ومجادلة أهل الكتاب ودعوتهم ..

عن معاذ رضي الله عنه قال : " بعثنى رسول الله ﷺ فقال :-

" إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب ، فأدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد أفترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد أفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنياهم فترد على فقرائهم .. فإن هم أطاعوك لذلك .. فإياك وكرائم أموالهم وأتق دعوة المظلوم فأنه ليس بينها وبين الله حجاب [٧]ليس هذا فقط .... بل هناك أكثر ..

فقد كتب عمر بن الخطاب إلى عامل جيش كان قد بعثه ((أنه بلغنى أن رجال منكم يطلبون العلج - الكافر العجمي - حتى إذا أشتد في الجبل وامتنع قال

---

(٤) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

(٥) أخرجة البخارى

(٦) أخرجه الطبرانى – ورواته رواه الصحيح .

(٧) محمد عطيه الإبراش : عظمة الإسلام ص٢٨١ – مكتبة الأسرة – الهيئة العامة للكتاب – ٢٠٠٢ – القاهرة.

رجل مترس : لا تخف فإذا أدركه قتله .. وأنى والذى نفسى بيده لا أعلم مكان أحد فعل ذلك إلا ضربت عنقه [٨]

وهل هناك سماحة وعدالة وتسامح أكثر من هذا ؟ أظن أن الأمر لا يحتاج إلى تعليق .

الإسلام والتسامح: -

رفع الإسلام منذ ظهور علم التسامح وجاءت في ذلك آيات القران الكريم التي وضعت الأساس لهذا الخلق السامى .

قال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾

(الشورى ٠٤٠)

ترجمة المعاني:

The recompense for an evil is an evil like thereof; but whoever forgives and makes reconciliation, his reward is with Allâh. Verily, He likes not the Zâlimûn (oppressors, polytheists, and wrong-doers).

تفسير الجلالين:

"وجزاء سيئة سيئة مثلها" سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات قال بعضهم: وإذا قال له أخزاك الله فيجيبه: أخزاك الله

"فمن عفا" عن ظالمه

"وأصلح" الود بينه وبين المعفو عنه

"فأجره على الله" أي إن الله يأجره لا محالة

"إنه لا يحب الظالمين" أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه

[٨] وزارة الأوقاف – رسالة – سماحة الإسلام وحقوق غير المسلمين ص٥١ مطبعة وزارة الأوقاف القاهرة ١٩٩٤م وأيضاً يراجع فى ذلك – د / يوسف القرضاوى – الحلال والحرام ص ٢٩ وما بعدها الطبعة الثانية والعشرون – مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٧م .

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

(النور ٠٢٢)

ترجمة المعاني:

And let not those among you who are blessed with graces and wealth swear not to give (any sort of help) to their kinsmen, Al-Masâkîn (the poor), and those who left their homes for Allâh's Cause. Let them pardon and forgive. Do you not love that Allâh should forgive you? And Allâh is Oft-Forgiving, Most Merciful.

تفسير الجلالين:

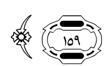
"ولا يأتل يحلف
"أولوا الفضل" أصحاب الغنى
"منكم والسعة أن" لا
"يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله" نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك
"وليعفوا وليصفحوا" عنهم في ذلك

"ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم" للمؤمنين قال أبو بكر: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ


﴾

And by the Mercy of Allâh, you dealt with them gently. And had you been severe and harsh-hearted, they would have broken away from about you; so pass over (their faults), and ask (Allâh's) Forgiveness for them; and consult them in the affairs. Then when you have taken a decision, put your trust in Allâh, certainly, Allâh loves those who put their trust (in Him).

تفسير الجلالين:
"فبما رحمة من الله لنت" يا محمد
"لهم" أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك
"ولو كنت فظا" سيئ الخلق
"غليظ القلب" جافيا فأغلظت لهم
"لانفضوا" تفرقوا
"من حولك فاعف" تجاوز
"عنهم" ما أتوه
"واستغفر لهم" ذنوبهم حتى أغفر لهم
"وشاورهم" استخرج آراءهم
"في الأمر" أي شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم
"فإذا عزمت" على إمضاء ما تريد بعد المشاورة
"فتوكل على الله" ثق به لا بالمشاورة
"إن الله يحب المتوكلين" عليه

ويوصى القرآن المسلمين أن يحسنوا معاملة غير المسلمين وأن يكونوا معهم بررة وأن يكونوا عدولاً في التعامل معهم قال الله تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين .. " سورة الممتحنة الآية ٨

فالإسلام دين سلام وعقيدة حب وإن لم يعيشوا في دار الإسلام ..

والثانى : اسم ((أهل الذمة)) إيماء بأن لهم ذمه الله وذمة رسوله (أي عهد الله وعهد رسوله ألا يؤذوا ولا تهدر حقوقهم أو تخدش حرماتهم . وهذا الاسم خاص بالذين يعيشون في ظل سلطان الإسلام ..

وجاءت أحاديث النبي ﷺ تحذر من المساس بحقوق أهل الذمة ....

فقد قال ﷺ " من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً " والمعاهد شمل من له عهد مؤقت بأمان ونحوه وهو المستأمن ومن له عهد مؤبد وهو الذي عهده أوثق وأوكد وهو الذمى ..

وقال رسول الله ﷺ ((م ن ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفة فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة)) [1]

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد الكثير والكثير من الآيات – إضافة لما قدمنا في بداية المبحث ومنها على سبيل المثال :-

قال تعالى : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

(الغاشية ٠٢٢)

ترجمة المعاني:

You are not a dictator over them -

وقال تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

(يونس ٠٩٩)

ترجمة المعاني:

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

And had your Lord willed, those on earth would have believed, all of them together. So, will you (O Muhammad (peace be upon him)) then compel mankind, until they become believers.

[1] د / يوسف القرضاوى – تطبيق الشريعة – مرجع سابق – الدوحة ص ١٩

وقال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾

(البقرة ٢٥٦)

ترجمة المعاني:

There is no compulsion in religion. Verily, the Right Path has become distinct from the wrong path. Whoever disbelieves in Tâghût and believes in Allâh, then he has grasped the most trustworthy handhold that will never break. And Allâh is All-Hearer, All-Knower.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ ﴾

(الإسراء ٠٥٤)

ترجمة المعاني:

Your Lord knows you best, if He wills, He will have mercy on you, or if He wills, He will punish you. And We have not sent you (O Muhammad (peace be upon him)) as a guardian over them.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ

بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ

بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾

(آل عمران ٠٦٤)

ترجمة المعاني:

Say (O Muhammad (peace be upon him)) "O people of the Scripture (Jews and Christians): Come to a word that is just between us and you, that we worship none but Allâh (Alone), and that we associate no partners with Him, and that none of us shall take others as lords besides Allâh. Then, if they turn away, say: "Bear witness that we are Muslims."

وأمر الله نبيه ﷺ أن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمى به . وهذه سماحة ما بعدها سماحة ..

قال تعالى : ﴿ وَإِنۡ أَحَدٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ

حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا

يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾

(التوبة ٠٠٦)

ترجمة المعاني:

And if anyone of the Mushrikûn (polytheists, idolaters, pagans, disbelievers in the Oneness of Allâh) seeks your protection then grant him protection so that he may hear the Word of Allâh (the Qur'ân), and then escort him to where he can be secure, that is because they are men who know not.

تفسير الجلالين:
"وإن أحد من المشركين" مرفوع بفعل يفسره
"استجارك" استأمنك من القتل
"فأجره" أمنه
"حتى يسمع كلام الله" القرآن
"ثم أبلغه مأمنه" وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره
"ذلك" المذكور
"بأنهم قوم لا يعلمون" دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا

وأمر الله المسلمين بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين ..

قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

(النحل ٠٩١)

ترجمة المعاني:
And fulfill the Covenant of Allâh (Bai'ah: pledge for Islâm) when you have covenanted, and break not the oaths after you have confirmed them - and indeed you have appointed Allâh your surety. Verily! Allâh knows what you do.

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـًٔا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

(التوبة ٠٠٤)

ترجمة المعاني:

Except those of the Mushrikûn (See V.2:105) with whom you have a treaty, and who have not subsequently failed you in aught, nor have supported anyone against you. So fulfill their treaty to them for the end of their term. Surely Allâh loves Al-Mattaqûn (the pious - See V.2:2).

تفسير الجلالين:

"إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا" من شروط العهد
"ولم يظاهروا" يعاونوا
"عليكم أحدا" من الكفار
"فأتموا إليهم عهدهم إلى" انقضاء
"مدتهم" التي عاهدتم عليها
"إن الله يحب المتقين" بإتمام العهود

وهكذا نجد الإسلام قد حفل بالدعوة إلى التسامح منذ بزغ فجره ولم تكن هذه الدعوة مجرد كلام فقط . بل كانت دعوة عملية لم يشهد التاريخ كله فاتحين يتركوا أهل البلاد المغلوبين أحراراً فيما يدينون ويعتقدون وأحراراً فيما يأخذون وفيما يتركون دون إجبار أو إكراه [٢]

---

[٢] د / أحمد محمد الحوفى – سماحة الإسلام – دار النهضة مصر – ط ٣ – ١٩٩٨م – القاهرة – ص ٥٤ وما بعدها .

ولقد كان تاريخ المسلمين في معاملة غير المسلمين صحائف رائعة من التسامح الفذ المنقطع النظير بين المؤمنين وغيرهم مما جعل أهل الأديان الأخرى ترحب بالحكم الإسلامى منقذاً لها تعصب حكمها الذين كانوا في بعض الأحيان على دينها ..

يقول جيروم وجان تارو :-

أن فضيلة التسامح التي كانت أزهى سمات العرب .. أزهى السمات الخليفة في العرب التي ندر أن تتوافر لغيرهم في جميع الأزمان . هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيراً . ولم يكن يفيدهم ذكاؤهم الفطرى وذوقهم الفنى ونزعاتهم لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح .[٣]

وليس المجال هنا مجال أطناب ولكن تكفينا هذه النصوص لتكون شواهد على السماحة والتسامح ..

(٣) د / يوسف القرضاوى – تطبيق الشريعة الإسلامية – سابق صـــ٨



شيوع روح التسامح
وأثره في التنمية الاقتصادية

المبحث الرابع

شيوع روح التسامح

وأثره في التنمية الاقتصادية

=====================

من المتفق عليه أن التنمية الاقتصادية لا تستمر ولا تؤتى ثمارها إلا في بيئة متماسكة اجتماعياً ومستقرة أمنياً . وهذا يعنى توفير المناخ الملائم لانطلاق رأس المال مع التأكيد على الضمانات التي تمنع الاعتداد عليه أو إهداره . لأن رأس المال " جبان " ولقد عملت الدول على سيادة المفاهيم الاقتصادية ووضع المشكلات الإجماعية والأمنية على رأس قائمة اهتمامات الدول لإفساح الطريق أمام خطط التنمية .

ونحن عندنا ما نتحدث عن أثر السماحة والتسامح بين الأديان وأثرة في النواحي الاقتصادية لأبد أن نتوقف عند تعريف التنمية الاقتصادية وأهميتها لمجتمعنا العربي والمصري في الظروف الراهنة خاصة وأن الدراسات المستقبلية كلها تركز على النواحي الاقتصادية لما لها من تأثير في النواحي الاجتماعية والسياسية .

مفهوم التنمية : -

التنمية هي تحقيق قدر معين من نما الدخل والثروة يصاحبه قدر مناسب من نماء الثقافة والمعرفة وارتقاء بالسلوكيات .

ولقد أجمعت أغلب تعريفات التنمية على أنها عملية شاملة تتناول مختلف مقومات الاجتماعية معتمدة في ذلك على تخطيط شامل لمختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع القومي وتسير في اتجاه محدد لتحقيق أهداف محددة الأمر الذي يتطلب عمليات التنظيم والتنسيق بين مختلف نواحي التنمية لمساعدة المجتمع في إعادة بناء كاملة [1].

فالتنمية عملية تستند أساساً على المشاركة الإيجابية من جانب أفراد المجتمع مع الحكومة ممثلة في الهيئات المختلفة سواء أكانت هذه المشاركة في التفكير والإعداد أو التنفيذ وذلك استناداً إلى شعور الأفراد بالحاجة الماسة إلى ضرورة تغيير مجتمعهم لتحقيق معيشة أفضل وهذا الشعور وتلك المشاركة كفيلان بأن يبرزا

---

[1] د / أحمد الجلاد : التنمية والبيئة فى مصر . مكتبة الأسرة ص ٢٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١ ٢ –

بالفعل المشكلات التي يعانون منها وكيفية التغلب عليها وتحديد الحاجات الملحة التي تحقق تنمية لمجتمعهم المحلى [٢] وقد ظهر حديثاً مصطلح التنمية المستديمة .. وهو يعنى التنمية التي تلبى حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال القادمة والمقبلة في تلبية حاجاتهم .

فالتنمية المستديمة في جوهرها عملية تغيير يكون فيها الاستغلال للموارد واتجاه الاستثمارات وجهة التطور التكنولوجي والتغيير للمؤسسات في حالة انسجام وتناغم وتعمل على تعزيز إمكانية الحاضر والمستقبل لتلبية الحاجات والمصالح الإنسانية .[٣]

التنمية الاقتصادية : -

يقصد بالتنمية الاقتصادية تنمية مختلف الموارد الاقتصادية المتاحة والممكنة لأقصى درجة وبطريقة أفضل وخلق فرص جديدة للعمل بهدف تحسين الأوضاع الاقتصادية ..

والتنمية الاقتصادية بهذا المفهوم لا تنفصل عن التنمية الإجماعية .. فإنه لا يمكن المبحثبين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للتنمية ..

أسباب ظهور فكرة التنمية الاقتصادية : -

١- إعادة بناء التركيب الاقتصادي والاجتماعي في العالم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية .
٢- توفير الاستخدام الكامل أو القرب منه – للقوى العاطلة .
٣- إعادة تنظيم فنون ووسائل الإنتاج حتى يزداد الإنتاج كماً وكيفاً .
٤- ظهور الحركات الفكرية والثقافية التي تطالب بتحسين المستوى المعيشي والحضاري للإنسان بدون العالم النامي .
٥- الصراع الدولى – وخاصة بين الدول الكبرى – في تنمية اقتصادها لكى تحافظ على مركزها الدولي في العالم مما أدى لظهور برامج تنمية ونمو في هذه الدول مثل تنمية الإنتاج الزراعي وتنمية الإنتاج الصناعي[٤] وهذا يعنى أن الفكر الاقتصادي نشأ كرد فعل للحاجات البشرية المتزايدة والتى لا تتوقف .. وهذا

---

[٢] د / أحمد الجلاد . التنمية . مرجع سابق ص ٢٥

(٣) د / أحمد الجلاد . التنمية . ص ٢٩

[٤] د / أحمد الجلاد – سابق ص ٢٥ وأيضاً د / سعيد عبد الخالق محمود – التنمية – مجلة الوعى الاسلامى العدد ٣٦٤ ذو الحجة ١٤١٦هــ مايو ١٩٩٦ ص ٦٦ ، ٦٧

٦- يعنى أن التنمية الاقتصادية إنما تتم وتتحقق عن طريق إحداث تغيرات جذرية في الأبنية الاقتصادية الاجتماعية للدول الأعضاء تتناسب مع ظروف الدول ... وتقوم التنمية الاقتصادية على أساس التصنيع للسوق الداخلي وذلك بعد أن يتحقق اتساع نطاق السوق وقيام نوع من التوازن بين القطاعات الرئيسية داخل الدولة .. وهى الصناعة والزراعة .

أخلاقيات الاقتصاد ودور الأديان فيها : -

إذا كان علماء الاقتصاد يقولون بأن الاقتصاد يمثل : البنية التحتية للدولة – أي دولة .. فإن أخلاقيات الاقتصاد والتعامل السليم يمثلان الجهاز الفقري لأي اقتصاد .

ولقد جاءت الأديان كلها – ما سبقت الإشارة لتعمل على التقارب بين البشر ومنع المظالم ورد المظالم إلى أهلها ومنع الاحتكار ، والغش ، والنصب ، والغرر وغيرها .. فإذا تعدى أهل الاقتصاد هذه الحدود تحول النظام – أي نظام – إلى مجرد سوط يلهب ظهور المتعاملين معه ليل نهار – ولم تعد هناك قيم حاكمة تحكم التعامل بين الأفراد ... بل خرجت سلوكيات التعامل عن مسارها الصحيح لتصدم بسلوكيات وأخلاقيات المجتمع .

فنحن نعلم أن أي نظام بشرى عندنا يضع مبادئه وقوانينه فإن التطبيق يحتاج إلى جهاز للرقابة .. ويستطيع أي فرد – مهما كان – أن يخالف هذا النظام مادام بعيداً عن أعين الرقباء [١] .

أما الأديان فإن أي نشاط فيها – وخاصة النشاط الاقتصادي يخضع لرقابتين : - رقابة بشرية .. ورقابة ذاتية .

أما الرقابة البشرية فنحن نجدها في مراقبة الحكام والخلفاء للأسواق [٣]وظهرت في الشريعة والنواحي الإسلامية وظيفة المحتسب لمراقبة النشاط الاقتصادي إلى جانب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

أما الرقابة الذاتية .. فهي رقابة الضمير في داخل الفرد ... فهى رقابة لا تنفك ولا تنتهي بل هي مستمرة طوال حياة الفرد ولذلك فإن الأديان تعمل على توجيه سلوك

---

(٢) د / على السالوس – الاقتصاد الإسلامي ودور الفقه فى تأصيله ص١٥ هدية مجلة الأزهر المجانية .. جمادى الأول ١٤١١هـ .

(٣) بعد الاستقرار فى المدينة المنورة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بمراقبة السوق والمرور فيها وتقريع المخالفين .

الفرد ونشاطه الاقتصادي كسلوكه في عبادته وعندما سئل الرسول ﷺ عن الإحسان قال " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإن يراك ..[٤] "
والإسلام جـ اء خاتماً للأديان .. ليأخذ كل فيها وليطبق في كل زمان ومكان .. فكانت نظرته إلى الاقتصاد هي نفس نظرة الأديان السابقة عليه .
وفى الاقتصاد الإسلامي أمور ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع ملاحظة أن هذه الثوابت هي نفسها في أي دين سابق - منها .
تحريم الربا والميسر - وحل البيع وكثير من العقود فليس لأحد أن يحل ما حرم أو يحرم ما أحل ومن المعروف أن الأصل في العبادات " الحظر " والأصل في المعاملات الإباحة فكل عبادة ممنوعة مالم يوجد ما يدل على مشروعيتها وكل معاملة مباحة مالم يثبت ما يمنعها لذلك اتسع الاقتصاد الإسلامي ليشمل أي معاملة جديدة بشرط خلوها من الموانع الشرعية (كالربا - والغرور - والميسر)
فإذا كان اقتصاد .. فلابد أن ينبنى على الأخلاقيات التي جاءت بها الأديان وإلا تحول الأمر إلى فوضى وخاف الناس من بعضهم فتتوقف عجلة التبادل والتأثير والتأثر .
أثر الإيمان في الإنتاج والعمل : -
جاءت الأديان كلها لتعريف الناس بربهم وحضهم على الإيمان به ..
ومن مقتضى هذا الإيمان بالله أن يعمل المؤمن ما أمره الله به وأن ينتهى عما نهاه عنه .
وهناك خلُقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وهما : (الأمانة - والإخلاص)
وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال فالصانع المؤمن ليس همه أن يكتسب بصنعته ولكنه أمين على صنعته يخلص فيها جهده ويرقب فيها ربه ويراعى حق أخوته .
وهذا هو شعور المؤمن في كل عمل من أعماله أن يؤدى العمل كله ليرض الله . وأن يؤدى العمل كأنه يرى الله .. فإذا لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه .. وشعار المؤمن دائماً في أدائه لعمله : - " أنى أرضى ربى " وهذا يعنى جودة الإنتاج ودقته وكثرته وحدوث نوع من الرواج التجاري للمنتج المحلى بعيداً عن الاستيراد والتسول ويعنى أيضاً زيادة التماسك والتلاحم الاجتماعي مما يرفع من أسهم النواحى الاقتصادية . ولهذا رأينا الأديان كلها تحض على الإيمان بل والتعمق في الإيمان

---

(٤) الحديث صحيح - رواه مسلم - والبخاري واللفظ لمسلم .

حتى ينعكس هذا الإيمان على المجتمع أموراً إيجابية وارتفاعاً عن المحرمات ومتمسكاً بالفضائل ..

فالمؤمن الصادق يقف عند حدود الله وبذلك يظل محتفظاً بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية والنفسية فلا يصرفها إلا في العمل الصالح أو ما يعين عليه من لهو برئ[1]

وهو حينما يأتيه الأمر من النبى ﷺ : " أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " .. فليس أمامه إلا الإتقان في العمل لا ينظر مع من يعمل لمن يعمل ومهما كانت الظروف المحيطة فإ نه يشعر دائماً برقابة الضمير .. وأنه ملاق الله ومحاسب عما كان بين يديه من عمل .

ولا يخفى أثر توجيهات الأديان لاتباعها بإحسان العمل الدنيوي والعمل الأخروي فكلاهما لا ينفصل عن الآخر مهما كانت الظروف والأحوال فالتوجيه إلى الله أولاً وأخراً .

وبعـــد ..

فإنه لا يخفى دور الأديان في الحياة ولا يخفى أهمية التقاء الأديان في نقاط محددة لرفع هذا اللبس والغموض الذي أحاط بعلاقة الأديان السماوية ببعضها .

ومن الأهمية بمكان أن يتم إظهار مبادئ السماحة في الأديان حتى تصبح عامل تجميع وتماسك داخل المجتمع الواحد ويهمنى هنا أن أقول ... أن مصر لها وضعيتها الخاصة التي قل أن نجد لها نظيراً في العالم كله .

" لقد امتاز الشعب المصري منذ آلاف السنين بميزات عديدة ومن أهمها أنه شعب مسالم يميل إلى الإسلام والأمن والاستقرار وقد استقبل شعب مصر منذ آلاف السنين أنبياء الله فقد تزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام من السيدة / هاجر المصرية وانجب منها سيدنا إسماعيل جد العرب واستقبلت مصر سيدنا يوسف عليه السلام وتربى موسى عليه السلام في أرض مصر ولجأ سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام إلى مصر وتزوج سيدنا محمد ﷺ من ماريه القبطية المصرية فالمصريون لهم صلات قديمة وقوية بالأنبياء وهم أول الشعوب التي عرفت التوحيد .. وعندما جاء الإسلام إلى مصر تلاقت طبيعة هذا الشعب على اختلاف معتقداته مع طبيعة الدين الجديد .

تلاقت طبيعة هذا الشعب المصري الآمن المسالم المحب للدين مع طبيعة الدين

---

[1] د / يوسف القرضاوى – الايمان والحياة – ص٢٩٨ مكتبة وهبه .. ط ١١ – ١٩٩٨م – القاهرة .

الإسلامي دين السلام والمحبة والاستقرار.وامتزجت هاتان الطبيعتان في أعماق شعب مصر حتى يومنا هذا [1] ولا يمكن أبداً أن تنقلب هذه الطبيعة المميزة لهذا الشعب فالجميع يحيون في هذا الوطن بلا تميز لا فرق بين مسلم أو مسيحي أو يهودي فقد انصهر الجميع في بوتقة هذا المجتمع .. وتحول الجميع إلى مصريين .. وليس هناك الآن أهم من إظهار روح السماحة والتسامح بين الأديان حتى يعود لهذا الوطن شكله الجميل وبنيته المتماسكة وحتى تتفرغ البلاد للبناء والتعمير وتجنى ثمار التنمية الشاملة التي تشهدها مصرنا الغالية وينعم الجميع بالأمن والاستقرار .. فالأمر جد .. ليس فيه هزل .

لابد من التعاون بين الجميع ولابد من التركيز على ما يجمع الكل لا ما يفرقهم .

---

[1] د / محمود حمدى زقزوق – هموم الأمة الاسلامية ص٥١ ، ٥٧ مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٠م

المبحث الخامس

السماحة في الأديان السماوية ودورها

في التنمية الاجتماعية

أولاً : معنى التنمية :

يعتبر مصطلح التنمية قديماً من الناحية اللغوية . ولكنه يعتبر من الناحية الفلسفية جديداً ظهر بعد الحرب العالمية الأولى .

والتنمية هي تحقيق قدر معين من نماء الدخل والثروة يصاحبه قدر مناسب ومتواكب من نماء الثقافة والمعرفة وارتقاء بالسلوكيات . وهى تشمل ناحيتين اقتصادية واجتماعية تربوية (٤)

ولقد أجمعت أغلب تعريفات التنمية على أنها عملية شاملة تتناول مختلف مقومات الحياة الاجتماعية معتمدة في ذلك على تخطيط شامل لمختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع القومي وتسير في إتجاه محدد لتحقيق أهداف محددة الأمر الذي يتطلب عمليات التنظيم والتنسيق بين مختلف نواحى التنمية لمساعدة المجتمع في إعادة بناء كاملة.

التنمية الاجتماعية : -

تركز التنمية الاجتماعية على الإنسان فتعمل على تنمية قدراته المختلفة إلى أقصى حد حتى تمكنه من التكيف مع الظروف المتغيرة الطارئة الجديدة وحتى يمكن تحقيق أقصى حد ممكن من استثمار للطاقات والإمكانات البشرية الموجودة لدفع عجلة التنمية الاقتصادية حيث تعمل على تزويد الفرد بمهارات وخبرات جديدة ..

كما تعمل التنمية الاجتماعية على تغيير اتجاهاته وقيمة وعاداته التي تقف عقبة في سبيل التغيير والتحديد فضلاً عن الاهتمام بظروفه الصحية والتعليمية . كما أنها تهتم بإنشاء تنظيمات جديدة ونظم مستحدثة لكى تفى بحاجات الأفراد وإشباعها بقدر الإمكان وتقديم مختلف الخدمات التي يحتاجونها ومن ثم فهى توفر المناخ الذي تتم فيه عملية التنمية الاقتصادية من حيث أن العنصر البشرى هو وسيلة التنمية وغايتها .

---

(٤) د / أحمد الجلاد – التنمية والبيئة فى مصر – مكتبة الأسرة – ٢٠٠١

والعمليتان (الاقتصادية والاجتماعية) تهدفان إلى تحسين ظروف المجتمع ورفع مستواه لتحقيق معيشة أفضل للإنسان [١]

فالتنمية إذن عملية اجتماعية في المقام الأول . حيث لا يمكن المبحثبين جانبيها الاقتصادي الاجتماعي اللذين يعتبران وجهين لعملة واحدة كل منهما مكمل للآخر حيث لا يمكن أن تتحقق أهداف التنمية الاقتصادية دونِ أن تصاحبها تنمية اجتماعية والعكس صحيح فالتنمية عملية مستمرة ستند أساسَ على المشاركة الإيجابية من جانب أفراد المجتمع وإلا تفشل نواحي التنمية .

والتنمية تعتبر في حد ذاتها وسيلة للارتقاء بمستوى الإنسان حيث تستخدم الطبيعة البشرية لتحقيق هذه التنمية وهناك اعتقاد قاصر وأن الإمكانية المطلقة للبيئة قادرة على الوفاء باحتياجات الإنسان من الموارد الطبيعية بدن حدود . حيث أدت التنمية التقليدية والتى استخدمت تكنولوجيا غير مناسبة – إلى استنزاف موارد البيئة الطبيعية أو في العمليات التحويلية لهذه الموارد إلى سلع وخدمات ضرورية للتنمية مما سبب التلوث بأنواعه المتعددة [٢]

وهكذا يتضح لنا أن التنمية الاجتماعية تركز أساسَ على العنصر البشرى وهى بذلك تسير في خط مستقيم لرفع مستوى الكفاءة والارتقاء بالمجتمع من كافة نواحيه .

هنا يظهر لنا دور السماحة والتعايش السليم بين الأديان الثلاثة على أرض مصر .. وأهميته في التنمية الاجتماعي ..

صورة من قريب

في بقعة صغيرة من الأرض التي تتجاوز مساحتها كيلو متر مربع يقوم دليل ساطع على ما عرفته مصر من سماحة وهى أرض الأنبياء بها أبرز علامات الأديان الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية شاهد على ذلك تلك البقعة التي ليس لها نظير في أي مكان في العالم والتى تضم رموز الأديان الثلاثة جامع عمرو بن العاص أو مسجد أقيم في مصر وأفريقيا وأقدم كنائس مصر القبطية كنيسة أبى سرجة والكنيسة المعلقة ومعبد بن عزرا .. وفى درب هذا المكان تسمع الآذان إلى جوار أجراس الكنائس مع ترانيم المعبد اليهودي وبها يؤدى أبناء الأديان الثلاثة شعائرهم في طمأنينة وسلام[١]

---

[١] د / أحمد الجلاد . التنمية والبيئة .. مرجع سابق .. ص ٢٤ ، ٢٥

[٢] د/ مصطفى سويف : نحو بيئة إجتماعية أفضل . مجلة الهلال العدد الثانى للعام السابع بعد المائة فبراير ١٩٩٩ ص ٢٤ وما بعدها

[١] مصطفى نبيل .. لقاء الأديان .. مجلة الهلال – ٢٤ للعام ١٠٧ فبراير ١٩٩٩ ص٦

أنها مصر بلد السماحة والتسامح واحترام الآخر ..

خصوصية المجتمع المصري : -

في دراسة رائدة عن " رؤى العالم في المجتمع المصري المعاصر " قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر وقام بها د / أحمد أبو زيد .. تطرق فيها إلى علاقة المصريين ببعضهم البعض وخاصة العلاقات مع أهل الأديان الثلاث في مصر

يقول د / أحمد أبو زيد :-

وكان لابد في مثل هذه الدراسة الشاملة أن يتطرق البحث إلى موضوع علاقة المسلمين والأقباط من وجهة نظر الأشخاص الذين تم اختيارهم حسب معايير موضوعية من مختلف شرائح المجتمع . وكانت التساؤلات الخاصة بموضوع العلاقة بين المسلمين والأقباط تتناول عدداً من النقاط المهمة تتلخص في إلى أي حد يعكس الإنسان المصري – بصرف النظر عن ديانته – الخصائص والمقومات الفزيقيقة والثقافية والاجتماعية لهذه المجموعة .. ومن ذلك تطرقت التساؤلات حول طبيعة العلاقات التي تربط المسلمين والأقباط في المجتمع المصري ونظرة الأقباط إلى المسلمين وإلى أنفسهم وبالعكس أي نظرة المسلمين إلى الأقباط وإلى أنفسهم وكانت هذه التساؤلات تثير اهتمام بل تحمس الأشخاص الذين أجرى بينهم البحث وفيهم مسلمون ورجال دين إسلامي ومسيحيون ورجال دين مسيحي . بل عدد من اليهود القلائل الذين مازالوا يعيشون في مصر . وعلى الرغم من أن الموضوع بطبيعته شائك وحساس أو هكذا كنا نتصور ولكن الثقة المتبادلة بين أطراف الحوا كانت كفيلة بالتغلب على كل الصعاب [٢]

والشيء الذي ظهر جلياً واضحاً من خلال اللقاءات والحوارات أنه ليس هناك أي إحساس من جانب المسيحيين بأنهم أقلية لها وضعها الخاص في المجتمع بل كان الإحساس بأنهم مع غيرهم هم نسيج هذا الوطن والنسج المتكامل هو الذي لا يمكن أن تظهر فيه عيوب مهما كانت ..

والخصوصية المصرية هنا تقبل الآخر والتعامل المؤدب والمظهر الحضاري في العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المصري دون النظر إلى ديانة أي فرد من افرد المجتمع بل النظر إلى الجميع على أنهم هذا الوطن ..

---

[٢] د/ أحمد أبو زيد تأملات فى مسألة الاقليات : تجربة قبطى من أسيوط مجلة الهلال ع٧ للسنة ١٠٢ يوليو ١٩٩٤ ص٤٠:٤١

وإذا كانت هناك بعض الهنات التي تظهر بين الحين والحين إلا أنها تظل في مجملها أعمالاً فردية لا تصور السلوك السليم لبقية أفراد الجماعة الإنسانية الواسعة التي ينظمها هذا المجتمع . احترام الأديان والتنمية الاجتماعية

إن التنمية الحقيقة هي أن نربى الإنسان على الفضائل والقيم وتلك هي رسالة الأديان عموماً لأن الشخص هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع . إن تنمية الإنسان ليست بالشيء الهين السهل .. لأننا نعلم أن بناء المصانع سهل وأن تعبيد الطرق وشق الصخور سهل . أما بناء الإنسان وإعادة صياغته فأنه أمر صعب . إن الإنان قدره عظيم ودوره في المجتمع خطير والأمم الناجحة هي التي تعمل على تظفير حياة أفضل لأبنائها وليس هناك مرب أفضل من رجل الدين لأنه يوجه ويرشد ليبنى الإنسان من داخله وخارجه ليكون هناك اكتمال بين الروح والجسد وليحدث ذلك التوازن المطلوب بين مطالب الروح ومطالب الجسد . ولن يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه بل لابد من موجه يوجهه تكون مهمته تأصيل القيم في النفوس وتهيئة المناخ العام يعمل على إيجاد الفرد الصالح وينمى فيه روح الولاء للدين والانتماء للوطن وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجموع لأن الأمة مهما ارتقت من الناحية التكنولوجية وما يتبعها فإن التفكك الاجتماعي يقضى على كل تقدم منشود . بل ويعمل على العودة إلى الوراء [1]

ولذلك فإنه من المهم التأكيد على دور الأديان الكبير والمهم في عملية التنمية الاجتماعية .. ويكون ذلك كالآتي :-

أولاً : التأكيد على نقاط الإلتقاء بين الأديان وهى كثيرة والعمل دائماً على تقديس هذه الأديان في وسائل الإعلام بدلاً من تقديمها بصورة مشوهة مشوشة ..

ثانياً : التقليل من قيمة الاختلافات بين أصحاب الأديان .. ذلك أنها تتفق في الأصول لكن الاختلاف في الفروع لا يبرز أبداً أن توجه إليها سهام النقد الخارجية .

ثالثاً : العمل بصورة مستمرة على تبيان مظاهر الرحمة والسماحة في الأديان السماوية حيث أن سيادة روح التسامح والسماحة من أهم نقاط التنمية الاجتماعية السليمة والسريعة داخل المجتمع الواحد .

رابعاً : العمل بصورة مستمرة على سيادة مبدأ احترام الآخرين وتقبلهم وليس الصراع معهم .. فإن تعاليم الأديان جميعاً تخص على ذلك .

---

[1] الشيخ / منصور لرفاعى عبيد .. الدعاة والتنمية الإجتماعية . مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٧ ص ٦٦ وما بعدها

" أما اتفاقها وعدم تخالفها فقد ثبت وأما ما يراه البعض من اختلاف أهل الأديان فليس من تعاليمها ولا أثر في كتابها بل هو من صنع بعض رؤساء هذه الأديان الذين يتجرون بالدين ويشترون بآياته ثمناً قليلاً ألا ساء ما يفعلون "[1]

وإن البحث الدقيق في مقارنة الأديان واستجلاء غوامضها وما فيها يوضح بما لا يدع مجلاً للشك هذا الالتقاء بين الأديان والتأكيد على حرية الآخرين وتقبلهم والتعامل السليم معهم .. أما ما نسمعه بين الحين والحين من أحاديث عن الصراع الحضاري وغيره فإنما هو لغو باطل لا أثر له بين أهل الأديان جميعاً . وليس أدل على ذلك من هذا التعايش السلمى السليم بين أهل أهل الديانات المختلفة فوق تراب هذا الوطن دون صراع أو تشكيك .

خامساً : دعم وإنشاء جمعيات التقريب بين الأديان فإنها خير دليل على احترام الأديان من جانب الجميع ودعم هذه الجمعيات يعتبر عاملاً مهماً في وحدة الوطن والحفاظ على المكاسب الاجتماعية بل خير معين على التنمية الاقتصادية الحقيقة وإن جمعيات التقريب بما تظهره للناس من تآلف وتآخ بين أهل الأديان جميعاً إنما تعطى الصورة الصادقة بما يجب أن يكون .. ونحن نعلم أنه قد تأسست جمعية التآلف والتقريب في بيروت بعد عودة الأستاذ الإمام محمد عبده إليها من باريس موضوعها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة وإزالة الشقاق من بين أهلها وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام من أقرب الطرق وقد ضمت هذه الجمعية بين أعضائها علماء كبارٍ من مسلمي الترك وإيران والهند وبعض كبار الإنجليز وكان أكبر أعضائها – ودعاتها في لندن القس إسحاق طيلر بل كان هو داعيها الأول في لندن وكان الأستاذ محمد عبده صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها [1]

ونحن الآن في حاجة إلى مثل هذه الجمعيات للعمل على إعلاء صوت الحق بعيداً عن التعصب المذموم وبعيداً عن الكلمات الفارغة التي لا تعنى شيئاً ذا بال من قريب أو بعيد بالنسبة لأصول الأديان الثلاثة..

---

[1] هذا النص للشيخ جمال الدين الأفغاني .. فى / محمود أبو رية دين لله واحد . مرجع سابق ص١٠٨

[1] محمود أبو رية : دين الله واحد .. مرجع سابق ص٩٢

إن تباين العقائد والأديان حكمة إلهية يصعب على المرء إدراك كنهها وكشف سرها بيد أن هذا التباين لا يحول دون اتحاد القلوب وصفاء النفوس فمثله مثل الزهور المتنوعة الألوان التي إذا جمعت في باقة متناسقة بهرت العيون وهزت أوتار الشعور[٢] .

سادساً : إشاعة جو من الحرية للبحث الخالص لأنه بدون حرية فلا مكان للتنمية الاجتماعية ولا مكان أيضاً للتعرف على ما عند الآخرين وإننا هنا ننادى بهذه الحرية اللازمة للبحث والتحرى وفى نفس الوقت ننادى أيضاً بأهمية التباحث الخالص للتعرف على جميع الأديان .. للربط بين الجميع .. بين أصحاب الفكر والعقل من المسلمين وأهل الكتاب جميعاً وتعمل على تأليف القلوب بين أهل الأديان وصفاء النفوس بين جميع بنى الإنسان .

وإن خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التي وضعها العلامة السيد محمد رشيد رضا حيث قال " نتعاون على ما نشترك فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف عليه "[٣]

وأخيراً : لابد من التأكيد على أهمية دور العبادة في هذا المجال . حيث يلعب المسجد دوراً مهماً في حياة الأفراد . وكذلك الكنيسة والمعبد .ز ومن الأهمية بمكان أن يتم التأكيد من جانب الجميع على فضيلة التسامح والسماحة كمنهج حياتي يمارسه الأفراد يومياً من خلال سعيهم وممارستهم لأعمالهم وأشغالهم .. ونحن ننبه هنا على أهمية دور وسائل الإعلام في هذا المجال (المسموعة والمرئية والمقروءه) وإبراز أهمية السماحة بين الأديان في إقامة مجتمع متماسك متوازن تخفى فيه العصبيات وينتهى كابوس التعصب وتعود اقلوب سليمة نقية إلى خالقها سبحانه وتعالى ..

---

[٢] أبور رية سابق ص٩١

[٣] المرجع السابق نفسهص١٠٤

فهرست

المبحث الأول السماحة والتسامح في اليهودية ٢
المبحث الثانى السماحة والتسامح في المسيحية........ ٦
المبحث الثالث ((السماحة والتسامح في الإسلام)) ١١
المبحث الرابع شيوع روح التسامح..................... ٢٨
المبحث الخامس السماحة في الأديان السماوية
ودورها.. ٣٤
فهرست ٤٠